أنواع الألوفونات أو الأصوات الفرعية العربية

في كتاب سيبويه

إعـداد

أ.د. مي فاضل جاسم الجبوري

قسم اللغة والنحو والصرف -كلية اللغة العربية

جامعة أم القرى -مكة المكرمة

mfjubueri@uqu.edu.sa

١٤٤٦هـ-٢٠٢٥م

أنواع الألوفونات أو الأصوات الفرعية العربية في كتاب سيبويه

أ.د. مي فاضل جاسم الجبوري
قسم اللغة والنحو والصرف – كلية اللغة العربية-جامعة أم القرى – مكة المكرمة
البريد الإليكتروني:
mfjubueri@uqu.edu.sa

الملخص:

في كتاب سيبويه المتوفي سنة ١٨٠ هجرية يمكننا قراءة ما كتب عن فونيمات العربية وألوفوناتها التي ما تزال حية في اللغة العربية الفصحىٰ واللهجات منذ أكثر من ألف عام. وقد عدّ سيبويه الحروف الأصول في العربية وهي التي تسمىٰ «الفونيمات» في علم الأصوات الحديث وعدّ الحروف الفروع وهي المسماة اليوم بالألوفونات. وقد عرفنا في هذا البحث أن المقصود عنده بهذا الجمع أن يذكر الأصوات التي تظهر في نطق متكلمي العربية وليس المقصود التعريف بكل ألوفونات الفونيم الواحد. وربطنا في هذا البحث دراسة الألوفونات المستحسنة وغير المستحسنة عند سيبويه بما نسمع اليوم في اللهجات العربية لملاحظة امتداد وجود الألوفون في اللهجات في الأزمنة القديمة والمعاصرة للعربية.

وقد بيَّنت هذه الدراسة أن سيبويه لم يكن يتحدث عن صوت واحد عندما شرح الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف كما ظهر في دراسات حديثة وقديمة للكتاب، وصحح البحث مجموعة من الأخطاء ومنها انتقاد استعمال القدماء مصطلح حرف بدلًا من صوت، وفهم بعض الباحثين أن هدف سيبويه من ذكر الأصوات الفروع هو تخيير المتكلم بالعربية في أن ينطق ما يستطيع من حروفها باختياره. ووضح البحث سبب عدم عدّ سيبويه الصوت الذي جعله في الأصول بين الأصوات الفروع عندما يستعمله متكلمو العربية ألوفونًا

الكلمات المفتاحية: لغويات- تاريخية- ألوفونات - العربية- أصوات.

Arabic allophones in Kitāb Sībawayh

Prof. Mai Fadel Jassim Aljubouri

Department of Language, Grammar and Morphology –
College of Arabic Language – um Al-Qura University – Makkah

Email: mfjubueri@uqu.edu.sa

Abstract:

In (The book) of Sibawayh, who died in 180 AH, we can read what was written about Arabic phonemes and allophones, which have survived in classical Arabic and dialects for more than a thousand years until now, Sibawayh listed those phonemes, and allophones, in this research, we learned that the purpose of this collection is to enumerate the sounds that appear in Arabic speakers pronunciation. In this study the favorable and unfavorable allophones in Sibawayh's book were linked to what we hear today in Arabic dialects.

This study showed that Sibawayh was not talking about a single voice when he explained the Kaf between the gym and the Kef and the gym that Kalkaf as it appeared in recent and old studies of the book. The research corrected a set of errors, including criticism of the use of the ancients term letter instead of sound, and some researchers understood that Sibawayh's goal of mentioning the sounds branches is to choose the Arabic speaker to pronounce what he can of the letters of his choice. The research explained why Sibawayh did not count the sound that made it in the origins among the branches sounds when used by Arabic speakers Alfona.

Keywords:

Linguistics - Historical - Allophones - Arabic - Sounds.

مقدمة

من خلال نقش عربي مكتوب بخط المسند من القرن الأول قبل الميلاد، وُجد في قرية الفاو عاصمة كندة وقبائل عربية أخرىٰ في جنوب المملكة العربية السعودية نعلم أن عمر اللغة العربية يبلغ أكثر من ألفين ومئة عام. بهذا الخط كتب عجل بن هفعم النص علىٰ قبر أخيه باللغة العربية باستخدام خط مملكة سبأ القريبة. والنقش مكتوب «بالعربية القديمة» (أي اللغة العربية قبل الإسلام)، وهذا هو أقدم نقش عربي معروف مكتوب بخط المسند[١].

وعلىٰ الرغم من أن اللغة العربية تطورت بطرائق عديدة منذ ذلك الحين، فإنها ما تزال مستخدَمةً لغةً رسمية بالطريقة نفسها التي استُخدِمت بها منذ أكثر من ألف عام، وما تزال الدول العربية تستعمل اللغة الفصحىٰ نفسها لغة رسمية.

أقدم كتاب يدرس اللغة العربية وصل إلينا هو كتاب سيبويه الذي كان يسمىٰ (الكتاب). في هذا الكتاب يمكننا أن نجد أولىٰ الدراسات العربية في علم اللغة، حيث درس سيبويه اللغة العربية بعمق ووصف قواعدها، وبناء الجملة، والأصوات فيها. وقد توفي قبل ألف ومئتين وست وستين سنة، لكن كتابه ما يزال أهم كتاب درَس العربية.

كان من الصعب فهم هذا الكتاب حتىٰ لعلماء اللغة العربية في ذلك الوقت. لكن بعضهم كتب آلاف الصفحات لشرح ما قاله سيبويه عن هذه اللغة. ومن هؤلاء أبو سعيد السيرافي الذي توفي بعد سيبويه بأكثر من مئة وثمانين سنة. في الكتابين (كتاب سيبويه وشرحه للسيرافي)، يمكننا قراءة ما كُتب عن فونيمات العربية وألوفوناتها التي ما تزال حية في اللغة العربية الفصحىٰ واللهجات منذ أكثر من ألف عام. كان سيبويه

حريصًا علىٰ إخبار قرّائه بكل شيء عن الفونيمات العربية، لكنه لم يقُل كثيرًا عن الألوفونات. قد يكون أحد أسباب ذلك أن كتابه كان يسعىٰ إلىٰ دراسة اللغة العربية الفصحىٰ وليس لهجاتها، ولا سيما هدفه الذي أشار إليه عند جمع الأصوات الفرعية أو الألوفونات؛ إذ صرح بوضوح أنه مهتم بما يصح أن يستعمل لقراءة القرآن الكريم، ومن ثَم صرح بالألوفونات أو الأصوات الفرعية التي استعملها متكلمو العربية ولا يصح أن يُقرأ القرآن الكريم أو الشعر العربي أو النص الفصيح بها، فكان هذا تنبيهًا مهمًّا إلىٰ اهتمام سيبويه بالنص الفصيح بهذه الإشارات.

ولا بد أن نشير إلىٰ أن هدف الورقة البحثية التي نقدمها دراسة وملاحظة مدىٰ قدم واستمرار الألوفونات أو الأصوات الفروع للأصول أي الفونيمات العربية التي ذكرها سيبويه واستعرضها واحدًا تلو الآخر لسببين: الأول متابعة وجهات نظر سيبويه وطريقة تفكيره فيها ومدىٰ نجاحه فيه، والثاني أن كثيرًا من هذه الفروع لم يزل موجودًا في لهجاتنا العربية في يومنا الحاضر، فهي جديرة بالدراسة والملاحظة من وجهة نظر أقدم كتاب لغوي رصدها ووصلت إلينا، فهذا هدف الدراسة.

وفي هذا المضمار لا نرىٰ صحة سبق «العين» لكتاب سيبويه في الوصف الصوتي لحروف أو أصوات العربية؛ إذ من خلال الاطلاع الدقيق لم يصح لدينا أن يكون «العين» من مؤلفات الخليل أستاذ سيبويه المذكور في كتابه، وفي ذلك أحيل إلىٰ رسالة إحدىٰ طالباتي التي اقترحتُ عليها أن تكتب في هذا الموضوع في جامعة أم القرىٰ رسالة الماجستير بالمقابلة بين نصوص الخليل في كتاب سيبويه ونصوص العين؛ لملاحظة الاختلافات الكبرىٰ في الآراء والمصطلحات التي استعملها الخليل في كتاب سيبويه كما نقلها الكتاب، والتي استعملها صاحب العين[٢].

ومشكلة البحث تكمن في أنه قلّما دُرست الألوفونات في العربية من خلال نظرة سيبويه فيها بطريقة تستطيع متابعة فكر سيبويه فيها بشكل دقيق، وهو الذي اهتم بالنظر في جوانب ومجالات دراسة العربية وجمعها في كتابه من دراسة صوتية وصرفية ونحوية تركيبية، وبدرسه وتدوينه نكون أقرب إلىٰ عصور الفصاحة ونحن نقابل بين ما دوّن لنا في كتابه وما نعاصره اليوم من اللهجات، فنعلم الألوفون القديم المستمر منها. وهناك في هذا البحث متابعة لأفكار سيبويه تبين وجهات نظره في بعض القضايا بشكل أدق مما نظر فيها من قبل، وهو الأمر الذي يجعله مختلفًا عن البحوث السابقة.

ومن البحوث السابقة في هذا الحقل: الأصوات المستحسنة عند سيبويه للدكتور عبد الناصر رمضان شيتاو المنشور في مجلة جامعة صبراتة العلمية ٢٠٢٣، ولم يتناول كل الأصوات الفرعية لدىٰ سيبويه كما ظهر في بحثنا، وتناوله يختلف عن تناولنا لمادة هذه الألوفونات، فتركيز بحثه علىٰ فكرة الاستحسان وسبب استحسان هذه الأصوات. ومن الجدير بالذكر أنه يعيب علىٰ سيبويه والقدماء استعمال مصطلح (حرف) بدلًا من المصطلح (صوت) يقول: «وعلىٰ الرغم من أن الأصوات هي أساس اللغة، وأن الحروف هي الرموز المصورة لتلك الأصوات إلا أن الشائع عند القدامىٰ بل وعند كثير من المحدثين أيضًا استعمال لفظ الحرف في الدلالة علىٰ الصوت»[٣] وتخطيء القدماء ومنهم سيبويه في استعمال مصطلح حرف بدلًا من مصطلح صوت غير سليم؛ لأن المقصود بقولهم مثلًا: (حرف الكاف) هو: طرف كلمة كاف، وهو صوت /ك/ ، والمقصود بحرف الشيء: طرفه، وعلىٰ هذا فاستعمال القدماء وسيبويه صحيح لا غبار عليه، وإنما الخطأ ممن لم ينتبه لمعاني مفردات اللغة العربية واستعمالاتها القديمة التي استعملها المتقدمون.

ومن البحوث السابقة أيضًا كتاب بعنوان الدراسات الصوتية عند علماء العرب للدكتور عبدالحميد هادي الأصيبعي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، الجماهيرية الليبية طرابلس ١٩٨٢ .

وقد خصص الفصل الثالث للأصوات العربية أصولها وفروعها، ورتبها بحسب تسلسل حروف الهجاء. وكان تعليله لوجود الأصوات الفروع قوله: «إن هذه الأصوات الفروع هي خيارات لناطق العربية إذا لم يستطع أن ينطق صوتًا أصليًّا فله الخيار أن ينطق الصوت المتفرع عنه».(٤)

ومن المعروف أن من صنَّف أصوات العربية في أوائل الدراسات للغة العربية هو سيبويه في كتابه، وفي هذه النظرة لفكر سيبويه في هذه الأصوات اختلاف كبير عن نظرتنا لفكر سيبويه فيها، إذ نرىٰ أن علة ذكره للأصوات الفروع أنها كانت منطوقة أصلًا ومعروفة علىٰ عهده، سواء كانت ألوفونات لهجية، أو كانت ألوفونات ظهرت بسبب التعامل الصوتي في درج الكلام. وإنما أراد سيبويه أن يبين للقارئ والمتعلم الأصوات الأصلية في العربية، والأصوات الفرعية علىٰ سبيل الانتباه الىٰ أنواع ما يظهر من أصوات فروع ، أي إن ما كان يهمه هو أنواع الأصوات التي يمكن سماعها في كلام مستعملي العربية، وهذا ليس من قبيل السماح لمتكلم العربية أن يختار منها وإنما تظهر في كلام الناطق بالعربية لأنها لهجته، أو لأنه يرويها، أو لأنه تعلمها بهذا النطق، أو بسبب تجاور الأصوات وتأثرها بعضها بالبعض الآخر أحيانًا.

من جهة أخرىٰ فإن عنوان الكتاب الدراسات الصوتية عند علماء العربية دال علىٰ أنه لم يتخصص بفكر سيبويه في حين يختص بحثنا به، وهذا اختلاف بيّن بين البحثين.

الفونيم والألوفون

عرّف دانيل جونز الفونيم قائلًا: «عائلة أو مجموعة من أصوات اللغة المتقاربة سماعًا ونطقًا، التي لا تظهر مطلقًا في نفس الإطار الصوتي»(٥).

ويلفت الدكتور حسام النعيمي النظر إلى أن الفونيم إذا تغير يتغير المعنىٰ(٦)، فهو أصغر صوت إذا تغير في المفردة يتغير معناها، وذلك مثل: كَتَبَ وعَتَبَ، فتغير فونيم العين واستبداله بالكاف أظهر معنيين مختلفين لمفردتين. وأما الألوفون فلا يتغير المعنىٰ بتغيره وذلك مثل النارِ، سواء بقراءتها بإمالة الألف أو عدم الإمالة، وهذا هو الفرق بين الفونيم، أي الصوت الرئيس أو ما أسماه سيبويه بالأصوات الأصول في اللغة، والألوفون الصوت الفرعي.

الحروف الأصول والفروع

وبعد، فقبل أن يبدأ سيبويه في عد تسعة وعشرين فونيمًا وأربعة عشر ألوفونًا للغة العربية، قال سيبويه في النص الآتي عن الألوفونات التي عرّفنا المقصود بها للقارئ الكريم بأنها فروع من الأصول، فما يعرف بالفونيمات عندنا هي الأصول عنده والألوفونات فروعها، قال: «فأصل حروف العربيّة تسعة وعشرون حرفًا: الهمزة والألف والهاء والعَيْن والحاء والغَيْن والخاء والكاف والقاف والضاد والجِيم والشِّين والياء واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزايُ والسِّين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو»(٧).

ومن شارح كتاب سيبويه نأخذ نص تعليقه علىٰ ذكر سيبويه للألوفونات أو الأصوات أو الحروف الفروع مع ذكره نص سيبويه، قال أبو سعيد السيرافي ناقلًا نص سيبويه ومعلقًا عليه: «وتكون خمسة وثلاثين حرفًا بحروف هي فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة تُستحسَن ويُؤخَذ بها في قراءة القرآن والأشعار، وهو

النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، وألف الترخيم -يعني ألف الإمالة-، والشين التي كالجيم، والصاد التي كالزاي، وألف التفخيم -يعني بلغة-، هي الألف التي نحي بها نحو الواو في لغة أهل الحجاز نحو: الزكوة والصلوة.

وهي اثنان وأربعون حرفًا بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من تُرتضىٰ عربيته، ولا تستحسن في قراءة قرآن ولا إنشاد شعر، وهي الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والطاء التي كالتاء، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء، وهذه التي تمت بها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون، ولا تبين إلا بالمشافهة، إلا أن الضاد الضعيفة مكلف من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهي أخف؛ لأنها من حافة اللسان، وإنما تخالط مخرج غيرها بعد خروجها مستطيلة حتىٰ تخالط حروف اللسان»(٨).

قال أبو سعيد رحمه الله: «أما التسعة والعشرون حرفًا فهي معروفة لا تحتاج إلىٰ تفسير!».

قسم سيبويه -كما لاحظنا في نصه-الألوفونات (أي الفروع) إلىٰ قسمين: أولهما يحتوي ستة أصوات تُستحسَن في قراءة (القرآن الكريم) والشعر العربي. وهذه الألوفونات كالآتي:

أولًا: الأصوات الفرعية المستحسنة عند سيبويه

أ. (النون الخفيفة).

(النون) هو الصوت العربي / ن / وهو فونيم، لذا فإن النون الخفيفة أو النون [n̆] هو ألوفون منه.

قال أبو سعيد ﵀: «وأما النون الخفيفة؛ فإنه يريد النون الساكنة التي مخرجها من الخيشوم نحو النون في: منك وعنك ومن زيد، ورأيت في كتاب أبي بكر مبرمان في الحاشية الرواية الخفيفة، وقد يجب أن تكون الخفية؛ لأن التفسير يدل عليه، وإنما تكون هذه النون من الخيشوم مع خمسة عشر حرفًا من حروف الفم، وهي: القاف والكاف والجيم والشين والضاد والزاي والسين والطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء والفاء، وهي متىٰ كانت ساكنة وبعدها حرف من هذه الحروف مخرجها من الخيشوم لا علاج علىٰ الفم في إخراجها، وكذلك يتبينها السامع، ولو نطق بها ناطق وبعدها حرف من هذه الحروف وسد أنفه لبان اختلالها.

قال أبو سعيد ﵀: ولو تكلف متكلف إخراجها من الفم مع هذه الخمسة عشر حرفًا لا يمكن بعلاج وهذا يتبين بالمحنة»(٩).

من شرح السيرافي يمكننا أن نفهم أن هذا الألوفون النون الخفيفة أو الخفية أنفي [ŋ] متبوع بأحد هذه الحروف المذكورة أعلاه في النص، والنون الخفيفة ما يزال يستخدمها كل عربي. مثّل لها بكلمة: / مِنْكَ/ .

هذه النون المذكورة آنفًا التي نقل أبو سعيد السيرافي أنها من الخيشوم، وأنها ساكنة، وأنها تُتبَع بأحد خمسة عشر صوتًا من أصوات منطقة الفم -كما جاء في النص-وهي لا تظهر إذا أُتبعت بغيرها من الأصوات. هذه النون مستعملة بالتأكيد إلىٰ

اليوم في كلام العرب العام كما ضربوا مثلًا لها بكلمة منكم وعنك، ومن أمثلتها أيضًا: من زيد.

ب. (همزة بين بين).

(الهمزة) الصوت / ء/ وهو فونيم في اللغة العربية، و(بين بين) هو الألوفون الخاص به. المعنىٰ الدقيق لـ (بين بين) أوضحه سيبويه فقال عنه: إنه ضعيف خفيف / ʔ / بين حرفين متحركين حتىٰ ينتهي بحرف متحرك بعده قال سيبويه: «اعلم أن كلّ همزة مفتوحة كانت قبلها فتحةٌ فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة، وتكون بزنتها محقَّقةً، غيرَ أنك تضعِّف الصوت ولا تُتِمّه وتُخْفي؛ لأنك تقرّبها من هذه الألف، وذلك قولك سَأَلَ في لغة أهل الحجاز إذا لم تُحقِّق كما يحقِّق بنو تميم وقد قرأ قنبل بَيْنَ بَيْنَ».(١٠)

حروف العلة في اللغة العربية الفصحىٰ هي ستة أصوات كلها يتذبذب لها الوتران الصوتيان في الحنجرة، بأنواعها سواء كانت قصيرة أو طويلة وهي فتحة طويلة وقصيرة وضمة طويلة وقصيرة وكسرة طويلة وقصيرة. هذا يعني أن (بين بين) لن يكون صوتًا انفجاريًّا مثل الهمزة، في الإنتاج ولن يتم إغلاق الوترين الصوتيين تمامًا في هذه الحالة للسماح بالاهتزاز للحركات بالحدوث قبلها وبعدها. يمكننا سماع هذا الصوت فقط من قراء القرآن المتمكنين هذه الأيام.

وهمزة بين بين: تمثل نوعًا من أنواع تخفيف الهمز شرحها سيبويه بقوله: (اعلم أن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحةٌ فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة وتكون بزنتها محققةً غير أنك تضعف الصوت ولا تتمه وتخفي؛ لأنك تقربها من هذه الألف وذلك قولك سأل في لغة أهل الحجاز إذا لم تحقق كما يحقق بنو تميم، وقد قرأ قنبل بين بين. وإذا كانت الهمزة منكسرة وقبلها فتحة صارت

بين الهمزة والياء الساكنة، كما كانت المفتوحة بين الهمزة والألف الساكنة، ألا ترىٰ أنك لا تتم الصوت ههنا وتضعفه لأنك تقربها من الساكن؟ ولولا ذلك لم يدخل الحرف وهنٌ، وذلك قولك: بئس وسئم ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ (١١) وكذلك أشباه هذا.

وإذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والواو الساكنة والمضمومة قصتها، وقصة الواو قصة المكسورة والياء، فكل همزة تقرب من الحرف الذي حركتها منه فإنما جعلت هذه الحروف بين بين ولم تجعل ألفاتٍ ولا ياءاتٍ ولا واواتٍ؛ لأن أصلها الهمز، فكرهوا أن يخففوا علىٰ غير ذلك فتحول عن بابها فجعلوها بين بين ليعلموا أن أصلها عندهم الهمز، وإذا كانت الهمزة مكسورة وقبلها كسرة أو ضمة فهذا أمرها أيضًا، وذلك قولك: من عندِ إِبلك، ومرتعُ إِبلك. وإذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها ضمة أو كسرة فإنك تصيرها بين بين وذلك قولك: هذا درهمُ أُختك، ومن عندِ أُمك، وهو قول العرب وقول الخليل)(١٢).

سيبويه لم يكن يعرف أن الهمزة تصدر من خلال حبس الهواء المندفع للزفير من الرئتين فالقصبة الهوائية، ليُحصَر بانطباق الوترين الصوتيين في الحنجرة ثم بانفتاحهما المفاجئ نسمع انفجارًا هو صوت الهواء المنطلق بالهمزة عبر الموجة الصوتية التي تكون الهمزة بوصفها صامتًا في قعرها عادة. ولكنه عرف أنها من الأصوات الشديدة، أي: التي ينطبق لها عضوان من أعضاء الجهاز النطقي.

وقد عرف الصوت الشديد بالآتي: (ومن الحروف الشديد وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهو الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والدال والباء، وذلك أنك لو قلت: ألحج ثم مددت صوتك لم يجر ذلك)(١٣) تقريب الهمزة من الحركة الطويلة أو القصيرة وما يعبر عنه سيبويه بإضعاف الهمزة للتخفف؛ لأنها

عنده كالتهوُّع، يؤدي إلىٰ حدوث تذبذب الوترين الصوتيين للحركة التي بعدها أو قبلها. فأما انها همزة علىٰ صفة الهمزة التي ذكرنا أن الوترين ينغلقان انغلاقًا تامًّا لها فلا يكون عند محاولة تقريب لفظها من الحركة؛ لأن الحركة ينفتح لها الوتران ويتذبذبان لجهر الحركات.

كما أن بين بين ليست حركة؛ لأن سيبويه قال في وصفها (غير أنك تضعف الصوت ولا تتمه وتخفي)، وهذه ليست من صفات الحركات؛ لأن الحركة تتسم بقوة الإسماع مما يجعلها تقع في أعلىٰ الموجة الصوتية، في حين تقع الصوامت الهمزة وغيرها في قعر الموجة كما أسلفنا. فبقي لنا احتمال واحد وهو أن مخرج الهمزة يصدر منه الهمزة والهاء المعروفة لدينا وهي المتصفة بالهمس، ونوع آخر من الهاء هو الهاء المجهورة، أي: إن الوترين الصوتيين ينفتحان ويتذبذبان لها.

وفي رأيي أنها يمكن أن تكون ما قصد به سيبويه همزة بين بين. وبالإمكان ملاحظة الهاء المجهورة والمهموسة من مخرج الحنجرة والحلق في جدول الأصوات الآتي، حيث الأماكن الملونة في الجدول لا يمكن إصدار صوت بشري منها، وإذا كان فيه زوج من الأصوات فالمجهور يكون علىٰ يمين القارئ والمهموس علىٰ اليسار وبالكتابة الصوتية الدولية

الأبجدية الصوتية الدولية	شفتاني	أسناني شفوي	أسناني	لثوي	لثوي غاري	ارتدادي	غاري	طبقي	لهوي	حلقي	حنجري
انفجاري	pb			tɗ		ʈ ɖ	cɟ	kɡ	qɢ		ʔ
أنفي	m	ɱ		n		ɳ	ɲ	ŋ	ɴ		
تكراري	ʙ			r					ʀ		
خفيف أو مستل				ɾ		ɽ					
احتكاكي	ɸ β	f v	θ ð	s z	ʃ ʒ	ʂ ʐ	ç ʝ	x ɣ	χ ʁ	ħ ʕ	h ɦ
احتكاكي جانبي				ɬ ɮ							
شبه صامت		ʋ		ɹ		ɻ	j	ɰ			
شبه صامت جانبي				l		ɭ	ʎ	ʟ			

كما أن هناك مناقشة مطولة للآراء في بين بين أحيل القارئ إليها في كتابي (القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث)[١٤]. وبما أن الهمزة نوع واحد واقعي يتكون بإغلاق الوترين الصوتيين ثم فتحهما؛ فلا بد أن نفكر في عدم اشتراط مشابهة الألوفون للفونيم لعد همزة بين بين ألوفونًا للهمزة.

أخيرًا كما مر نقول: إن هذه الهمزة أي بين بين بقيت موجودة علىٰ ألسنة حملة القراءات القرآنية.

ج. (ألف الإمالة).

(الألف) هو الفونيم / ا/ أو /a: / . و (الإمالة) هي ألوفون خاص بها [i̟]. هناك مستويات مختلفة من (الإمالة) في اللغة العربية، وهذا الذي ذكره سيبويه هو (الإمالة

الشديدة). ما تزال كل من الإمالة الخفيفة والشديدة قيد الاستخدام اليوم في الموصل شمال العراق والبلدان العربية الأخرىٰ بلهجات مختلفة مثل التي كانت تستخدم قبل ١٥٠٠ عام. الإمالة المتطرفة مثل: (نارِ)، بعض قراء (القرآن) يقرؤونها بإمالة.

وللحديث عن هذه الألف التي تمال إمالة شديدة فسبب إمالة الألف هو التخفف كما ذكر سيبويه قال: (وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي حين قالوا: صدر فجعلوها بين الزاي والصاد فقربها من الزاي والصاد التماس الخفة)[١٥] والإمالة كما جاء في المقتضب هي (أن تنحو بالألف نحو الياء)[١٦] وهذا التقريب من الياء لوجود كسرة أو ياء للعمل من وجه واحد ويدخل الموضوع في قانون السهولة والتخفف والإسراع. فظهرت الإمالة عند بعض العرب، وصمدت الألف بالفتح في مواضع أخرىٰ من بلادهم. وقد اشتهرت تميم بالإمالة كما ظهرت عند قبائل عربية أخرىٰ في نجد مثل أسد وقيس، وهي موجودة إلىٰ اليوم في لهجات كثير من العرب في مواضع مختلفة من عُمان وفي الموصل كما ذكرنا، ومن ذلك قولهم ويحد للرقم واحد، وتستعمل في غرب العراق وكثير من المدن العربية الأخرىٰ.

د-(الشين التي كالجيم).

(شين) هو الصوت / ʃ/ في حين (جيم) هو الصوت / ʤ / . يوجد الألوفون من الفونيم (شين) كما قال السيرافي في كلمة / أشدق / . لكن سيبويه قال إن / ʃ/ في / aʃdaq / يمكن نطقها / aʒdaq/ .

ولتوضيح الشين التي كالجيم يقول السيرافي في شرح هذا الموضع من الكتاب: (وأما الشين التي كالجيم قولك في أشدق: أجدق؛ لأن الدال حرف مجهور شديد والجيم مجهور شديد والشين حرف مهموس رخو فهو ضد الدال بالهمس والرخاوة،

فقربوها من لفظ الجيم؛ لأن الجيم قريبة جدًّا من مخرجها وهي موافقة للدال في الشدة والجهر)[١٧] وعلىٰ هذا الوصف فالشين الموصوفة هي ألوفون تكاملي؛ لأنها ظهرت في بيئة صوتية خاصة لوجودها قبل الدال وموافقتها للدال في الشدة والجهر، ولكي يكون العمل من وجه واحد أيضًا فيدخل في قانون السهولة.

يجب أن نشير هنا إلىٰ أن سيبويه ربما كان تحت تأثير الرمز الكتابي الفارسي لأنه من أصل فارسي، لأنه [ʒ] فيه / ژ / . والتي تبدو مثل الرمز العربي / ز / ولكن رمز الكتابة الفارسي بثلاث نقاط ليس واحدة فقط. لذلك استخدمه سيبويه. بهذه الطريقة يمكننا أن نرىٰ التشابه بالرمز / ʃ/ .

هـ- (الصاد التي كالزاي).

(الصاد) هو صوت عربي مهموس مفخم / sˤ / . والألوفون منه الصاد التي كالزاي. الفرق بين الصوت / s / والصوت (صاد) هو أن (صاد) مفخم. و(صاد) التي كالزاي ليس مفخمًا. لقد استمعت إلىٰ الصوت / s / علىٰ تطبيق IPA الخاص بتمثيل الأصوات من كل أنحاء العالم. يسمع مثل (صاد) الذي نستخدمه في اللغة العربية. لكن الـ∀ـ∀ لهذا الصوت كان الألوفون الذي قال سيبويه إنه مشابه لـ /z/ هذا هو الصوت / s / . قال سيبويه إنه يمكن سماع هذا الصوت الفرعي أو الألوفون كما نسميه في مصطلحنا اليوم كلما تبع (ص) بالحرف الساكن / د/ في كلمة واحدة. ما يزال هذا الألوفون يظهر عند نطق الصاد في مثل هذه الكلمات في اللهجات العربية مثل كلمة / asˤdiqa: ʔ / (أصدقاء)، والتي تعني (الأصدقاء) .

في الصاد التي كالزاي قال سيبويه في باب الحرف الذي يُضارَع به حرفٌ من موضعه: (فأما الذي يضارع به الحرف الذي من مخرجه فالصاد الساكنة إذا كانت

بعدها الدال، وذلك نحو مصدر وأصدر والتصدير؛ لأنهما قد صارتا في كلمة واحدة... فجعلوا الأول تابعًا للآخر، فضارعوا به أشبه الحروف بالدال من موضعه وهي الزاي؛ لأنها مجهورة غير مطبقة ولم يبدلوها زايًا خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق)[١٨] قال أبو سعيد السيرافي: (وقلبها حرفًا بين الصاد والزاي أن الصاد مهموسة رخوة مطبقة، والدال مجهورة شديدة غير مطبقة، فنبت الصاد عن الدال لما بينهما هذه المخالفات بعض النبوّ، فجُعل مكان الصاد حرف بين الصاد والدال ... من مخرجها يقارب الدال ويوافقها في بعض صفاتها فيكون أشد ملاءمة للدال وأقل نبوًّا عنها من الصاد بأنهما من مخرج واحد، وبالصفير الذي في الصاد والزاي، فمن قلبها زايًا خالصة فيما ذكرناه من موافقة الزاي للصاد والدال. وأما من جعلها بين الصاد والزاي فإنه كره أن يقلبها زايًا خالصة فيذهب الإطباق الذي في الصاد والإطباق فضيلة في الصاد)[١٩] فهذا الصوت الذي تحدث عنه سيبويه والسيرافي هو ألوفون تكاملي؛ لأن له بيئة صوتية محددة عندما تسكن الصاد وتجاور الدال يبدو أنها تتحول إلىٰ الجهر فنسمع هذا الصوت وهو موجود في لفظنا في المواضع أنفسها إلىٰ اليوم.

و-(ألف التفخيم).

هذا نوع آخر من حرف العلة / : /a وهو / /ɑ:. ذكر سيبويه ثلاثة أمثلة لهذا الألوفون باللغة العربية يمكن سماعها بلهجة الحجاز غرب شبه الجزيرة العربية في ذلك الوقت. ما زلنا نستخدم الطريقة في نطق الأمثلة الثلاثة في معظم دول الخليج العربي والعراق بعلامة [:ɑ] واحدة من هذه هي كلمة /ʔazzakɑ:t/ .] زكاة، صلاة، حياة.

التفخيم يعني أن الصوت طبقي أو يتميز بالتفخيم، أي ارتفاع مؤخر اللسان باتجاه الطبق الأعلىٰ. ما يزال هذا الحرف المفخم يُستخدَم خصوصًا من العرب الذين يعيشون بالقرب من إيران.

وللحديث أكثر عن ألف التفخيم فلم يذكر سيبويه التفخيم غير مرة واحدة في طول الكتاب وعرضه، وذلك عندما عدَّ ألف التفخيم بين الفروع المستحسنة. قال السيرافي: (وأما ألف التفخيم فهي ضد الإمالة؛ لأن الإمالة يُنحىٰ بها نحو الياء، وهذه يُنحىٰ بها نحو الواو. وزعموا أن كَتْبَهم الصلوة والزكوة ونحو ذلك مما كتب بالواو علىٰ هذه اللغة)[٢٠] وبإمكاننا بالتطبيق أن نميز هذه الألف المفخمة عن الألف غير المفخمة التي ذكر ابن جني أنها تظهر عند مد الصوت وإشباعه بالفتحة[٢١]. فلو طبقنا فكرة ابن جني علىٰ كلمة مثل: (مَل) تظهر لنا (مال) بألف غير مفخمة وهي غير الألف الحجازية المفخمة تفخيمًا متوسطًا. إن ظهور هذه الألف في كلمة مثل كلمة صلاة يكون أكثر ما يكون تأثرًا بالتفخيم أو الإطباق الذي في الصاد والذي يعم أصوات الكلمة، ولكن تفخيم الألف عامة هو قضية لهجية، أي إنه ألوفون حر، فبعض اللهجات تستعمله والأخرىٰ تنأىٰ عنه. وهو موجود في لفظ الخليجيين والعراقيين اليوم، ولا نجده في اللفظ المصري للألف وفي لفظ بعض بلدان شمال إفريقية لها مثل تونس، والألف والفتحة تسمع مفخمة في اللهجة المغربية.

ولربّ سائل يسأل في هذا المقام إذا كان سيبويه قد عدّ النون الخفية أو الخفيفة في الحروف الفروع أو كما ذكرنا في الألوفونات لماذا لم يعد صورتي الإقلاب والإدغام في النون في الحروف الفروع أيضًا؟

وجوابنا لأن سيبويه أراد في هذا الموضع من كتابه أن يعدّ أنواع الأصوات الفروع التي تتغير إليها الفونيمات التي سماها الأصول بشكل عام، بكلمة أخرىٰ أراد أن يعدّ كل الأصوات المستعملة عند متكلمي العربية ، ولم يكن همه تبيين كل ألوفون

تتحول إليه النون أو غيرها من الفونيمات في اللهجات العربية، أي أراد أن يذكر كل صوت يمكن أن نسمعه في نطق المتحدث بهذه اللغة فيعدّ أنواع الأصوات الفرعية أو الألوفونات ويعرفنا بها ولا يعدّ ألوفونات كل فونيم عربي أو كل حرف من الأصول.

ثانيًا: الأصوات الفرعية غير المستحسنة عند سيبويه:

بعد تلك الألوفونات المقبولة في اللغة العربية، كتب سيبويه عن الألوفونات الأخرىٰ التي لم تكن جيدة بما يكفي لاستخدامها في قراءة القرآن أو الشعر العربي. قال إنه من غير المقبول سماع تلك الألوفونات أو ما يسميه بالأصوات الفرعية باللغة العربية الفصحىٰ. هذه الألوفونات هي:

أ-(الكاف) التي بين (الجيم) و (الكاف).

(كاف) هو: / ك / فونيم من فونيمات اللغة العربية، و (جيم) هو: / ʤ / فونيم عربي أيضًا. سيبويه أشار إلىٰ أن بعض اللهجات العربية تستخدم الألوفون وهو مشابه لـ (جيم) بدلًا من / ك/ . الألوفون كما وصفه سيبويه انفجاري مثل (ج) وهو مهموس مثل (كاف) / ك / . يُستخدَم هذا الصوت من الناطقين باللغة العربية ويختلطون مع الأجانب مثل الفرس والهنود لفترات طويلة من الزمن، مثل العراقيين. ما يزال يستخدمه معظمهم بوصفه ألوفونًا للفونيم /k/ ولكن في بعض اللهجات في بغداد وجنوب العراق.

والكاف التي بين الجيم والكاف تحدث عنها سيبويه في (باب اطراد الإبدال في الفارسية) فقال: (يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم الجيم لقربها منها، ولم يكن من إبدالها بد لأنها ليست من حروفهم، وذلك نحو الجربز والآجرّ والجورب)[٢٢] وقال السيرافي: (أخبرنا ابن دريد أنها لغة في اليمن يقولون في جمل: كمل. وهي كثيرة في عوامّ أهل بغداد يقول بعضهم: كمل ورَكُل في جمل ورجل،

وهي عند أهل المعرفة منهم معيبة مرذولة. والجيم التي كالكاف هي كذلك، وهما جميعًا شيء واحد، إلا أن أصل أحدهما الجيم والأصل الآخر الكاف، ثم يقلبونه إلىٰ هذا الحرف الذي بينهما)[٢٣] والمقصود بالحرف الذي بين الجيم والكاف صوت /g/ أو الكاف المجهورة. ويستعمله بعض المصريين واليمنيين والعمانيين بديلًا للجيم اليوم. ويبدو لي أن سيبويه عندما ذكره بقوله الكاف التي بين الجيم والكاف كان متأثرًا برسم الحرف الفارسي لهذا الصوت، وهو شبيه الكاف مع فتحة طويلة أعلاه گ، ولكنه محق فعلًا بتسميته بالكاف لأنه كاف لكنها مجهورة، فهذا الحرف من مخرج الكاف فعلًا إلا أنه مجهور يُسمح بتذبذب الوترين الصوتيَّين عند نطقه، والكاف نظيره المهموس. وذكر سيبويه الجيم لا لقربه منه كما قال، وإنما لأن هذا الصوت يحل محل الجيم عند بعض متكلمي العربية كما مثَّل السيرافي. لقد عاش السيرافي في بغداد زمنًا طويلًا، ومن أخباره أنه جلس للقضاء بين الناس في جامع الرصافة خمسين عامًا بدون مقابل[٢٤]. فهو أعلم بلهجات أهل بغداد في زمانهم، ولكن البغداديين وكذلك كل أهل العراق من متكلمي العربية اليوم لا يستعملون الصوت المشار إليه في هذا الجزء من البحث، أي /g/ بديلًا للجيم وإنما بديلًا للقاف. ولا بد من الإشارة في هذا المقام إلىٰ أن هذا اللفظ هو المعروف في الساميات، وهو الأصل في السامية الأم، والجيم العربية هي التي تغيرت عنه. فمن يظهر في كلامه من العرب إنما احتفظ باللفظ السامي.

ب. الجيم التي كالكاف.

هذا الألوفون الجيم الذي يشبه الصوت / ك/ هو الصوت/g / الذي ما يزال يستخدمه المصريون والعمانيون والعرب الآخرون ألوفونًا للفونيم /ج /. لكنه يستخدم في اللهجات العربية الأخرىٰ مثل العراق ودول الخليج العربي واليمن

وشمال إفريقيا وجنوب مصر بوصفه ألوفونًا لـ / ق/ . وقال السيرافي إن هذا الألوفون كان يستخدمه العرب في اليمن في وقته أي قبل أكثر من ألف عام، وكان معروفًا جدًّا في اللهجات العامة في بغداد. يقولون / gamal / باستعمال الصوتg/ / بدلًا من / جمل/ بالجيم (جمل). و / ragul/ باستعمالg/ / بدلًا من / رجل / بالجيم (رجل). لا يستخدم أهل بغداد هذا الألوفونg/ / قطّ لـ / ʤ / في الوقت الحاضر، لأنهم يستخدمون [g] بوصفه ألوفونًا للقاف لـ / ق / كما ذكرنا سابقًا.

ولشرح الجيم التي كالكاف فقد مر بنا قبل قليل نص السيرافي الذي مفاده أن الجيم التي كالكاف هي نفسها الكاف التي بين الجيم والكاف. ولا أرىٰ رأيه، بل أرىٰ أن الذي قصده سيبويه هو صوت /ḏ/ وهو صوت / ʧ / المعروف في الإنكليزية في مثل بداية كلمة chair. وهو برسم الحروف الفارسية چ. ومخرجه قريب من مخرج الجيم، ولا بد أن هذا هو السبب الذي دعا سيبويه لتسميته بالجيم التي كالكاف، ولعله تأثر بالرمز الفارسي للصوت، لكنه محق في التسمية لأن الصوت جيم مهموسة. أما كونه كالكاف فأرىٰ أنه قال ذلك ليس لأن هذا الصوت يشبه الكاف وإنما لأنه يحل محلها فيستعمله بعض متكلمي العربية بدلًا من الكاف وفي مواقعها. ولعله يريد أن هذا الصوت فيه من صفات الكاف الهمس وليس كالجيم المجهورة. وعلىٰ كل حال فهو مسموع في اللهجة العراقية ولكنهم لا يستعملونه بديلًا لكل كاف، والأغلب استعماله بديلًا لكاف المخاطبة. كما أن من يسمع الفرس يكبِّرون ويقرؤون الأدعية بالعربية في الحرم المكي يجدهم يحولون كل كاف إليه. ومن العرب السوريين في لهجة البوكمال غرب سوريا أيضًا من يحول كل كاف إلىٰ هذا الصوت چ أو ʧ اوḏ.

د. الجيم التي كالشين.

هذا الألوفون هو [ʒ] وما زلنا نسمعه عند بعض العرب مثل (الشاميين). يستخدمونه بدلًا من الصوت / ʤ / مثل الكلمة / جاج / التي تعني (دجاج).

ولوصف الجيم التي كالشين نقول إن الصوت الذي أراده سيبويه هنا هو المقابل المجهور للشين. وقد ذكر سيبويه أن الجيم والشين من مخرج واحد. قال: (ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلىٰ مخرج الجيم والشين)[٢٥] ولكن الجيم مجهورة والشين مهموسة. مَثَّل السيرافي لهذا الصوت بكلمتين: الأجدر واجتمعوا. فالجيم منهما يتحول إلىٰ الشين المجهورة. وليس ألوفونًا تكامليًّا إنما هو تنوع حر؛ لأن بيئة ظهوره الصوتية غير محددة، بدليل شيوعه في اللهجات الشامية. ويمكن أن نقول أيضًا إن الصوت يكون في هذه الحالة جيمًا احتكاكية.

هـ -(الضاد الضعيفة).

(ضاد) / ض/ هو صوت عربي، لا يُستخدَم في أيامنا هذه عند عامة العرب بشكل تلقائي إلا عند قراء القرآن المحنكين. حتىٰ مع وصف كيفية نطقه في كتاب سيبويه، من الصعب جدًّا علىٰ العربي أن يقول كلمة باستخدامها بالطريقة التي نُطِقت بها منذ أكثر من ألف عام.

والضاد الضعيفة قال فيها سيبويه: (الضاد الضعيفة تتكلف من الجانب الأيمن وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر، وهو أخف، لأنها من حافة اللسان مطبقة، لأنك جمعت في الضاد تكلف الإطباق مع إزالته عن موضعه. وإنما جاز هذا فيها لأنك تحولها من اليسار إلىٰ الموضع الذي في اليمين وهي أخف لأنها من حافة اللسان، وأنها تخالط مخرج غيرها بعد خروجها، فتستطيل حين تخالط حروف اللسان،

فسهل تحويلها إلىٰ الأيسر؛ لأنها تصير في حافة اللسان في الأيسر إلىٰ مثل ما كانت في الأيمن، ثم تنسل من الأيسر حتىٰ تتصل بحروف اللسان كما كانت كذلك في الأيمن)[٢٦] قال السيرافي: (وإنما قال هي أخف لأن الجانب الأيمن قد اعتاد الضاد الصحيحة، وإخراج الضعيفة من موضع قد اعتاد الصحيحة أصعب من إخراجها من موضع لم يعتد الصحيحة)[٢٧]، وقال: (والضاد الضعيفة من لغة قوم ليس في أصل حروفهم ضاد، فإذا احتاجوا إلىٰ التكلم بها اعتاصت عليهم فربما أخرجوها ظاء، وذلك أنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا)[٢٨].

كثير من العرب لا يفرقون عادة بين (ضاد) و (ظاء) في نطقهم التلقائي، وكلاهما عند كثير منهم [ظ] في نطقهم عند التحدث أو قراءة اللغة العربية اليوم، وذلك في أنحاء كثيرة من دول الخليج العربي والعراق وبعضهم يغيرها الىٰ أصوات أخرىٰ لا تمثل الضاد العربية الفونيم العربي كما وصف نطقه سيبويه، فينطق العرب الآخرون ذلك الصوت الضاد بشكل مختلف ولكن ما يزال ليس بالطريقة التي وصفها سيبويه فيميلون به نحو الطاء أو الزاي أو ما أشبه. قلة من قراء القرآن تعلموا نطق هذا الصوت بالطريقة التي وصف بها وذلك مشافهة من القراء الذين أجيزوا منهم. لذلك نحن لا نعرف كيف نلفظ ألوفون الضاد الضعيفة أيضًا.

و-(الصاد التي كالسين).

(السين) مهموس كما نعلم. في حين (الصاد) / ص / / s^{ς} / مهموس أيضًا ولكنه مفخم. وكلاهما فونيم في اللغة العربية. الألوفون (الصاد التي تشبه السين) أقل تفخيمًا من الفونيم الصاد / $\S$ / . سمعت هذه (الصاد) في (صلالة) جنوب عمان في كلمة / صلاه / التي تعني (صلاة) وذلك بنطق الصاد مرققة كالسين، وبتجريدها إلىٰ حد ما من التفخيم من مؤذن أجنبي يؤذن للصلاة إذ لم تضبط الصاد بنطق مفخم في

قوله: حي علىٰ الصلاة وبقيت مرققة قريبة من السين. لذا فإن الألوفون هنا أقل تفخيمًا.

ز -الطاء التي كالتاء.

الصوت /ط/ هو صوت أسناني مطبق ومفخم يرتفع له مؤخر اللسان باتجاه الحنك الأعلىٰ أو الطبق. وأما التاء فأسناني أيضًا، ولكنه غير مفخم أو مطبق، لذا فإنّ صوت الألوفون من الفونيم الطاء هنا سيكون أقل تفخيمًا أو إطباقًا.

ومن أمثلة ما ذكر له أننا ما زلنا نسمع هذا الألوفون الذي تستخدمه النساء في المدن الرئيسة شمال مصر. وقديمًا قال السيرافي إن هذه الصاد التي كالسين كانت تُسمَع من الأجانب الشرقيين الذين يتحدثون العربية، وكان ذلك في زمانه في بغداد خلال القرون العباسية. توفي السيرافي قبل ١٠٤٦ سنة.

ح-الظاء التي كالثاء.

(الظاء) هو / ذ / مفخمة أو مطبقة أي يرتفع لها مؤخر اللسان باتجاه الطبق الأعلىٰ. في حين (الثاء) / θ / غير مفخمة. وكلاهما من الفونيمات العربية. إن ألوفون الظاء هنا هو مطبق أو مفخم الثاء [θ].

أخبرنا السيرافي أنه وجد في كتاب شرح نصوصًا أخرىٰ لسيبويه لعالم يدعىٰ مبرمان، أن الظاء يمكن سماعه في كلمة / أثر/ . ويجب نطق الثاء [θ] مفخمة في هذه الحالة /ʔaθar/ لنسمع هذا الصوت الذي أشار إليه شارح كتاب سيبويه أبو سعيد السيرافي نقلًا عن أبي بكر مبرمان.

ط -(الباء التي كالفاء).

الباء (ب) /b/ و الفاء (ف) / f / وكلاهما من الفونيمات في اللغة العربية. / ب / ألوفون الباء هنا هو الصوت [p̄]. ما يزال بإمكاننا سماع هذا الصوت الذي يستخدمه بعض العرب ولكن في الغالب ليس كألوفون لـ / b / . يستخدمونها للكلمات ذات الصوت /p / التي تقترض في اللغة العربية من لغات أخرىٰ. عادة ما يتم نطقها بعلامة [p̄]. ما يزال بإمكاننا العثور علىٰ الكلمات التي يستخدمها بعض العرب باستخدام الألوفون[p̄]] للفونيم /b / فيه، مثل /ʔibtisa: m/ / نطق الاسم: ابتسام يستخدمون الصوت المهموس له [p̄] وليس الصوت المجهور /b / لتأثره بصوت التاء المهموسة التي تجعل الباء مهموسة بدورها لتتحول إلىٰ الألوفون [p̄] بسبب وجود / t / بعده في كلمة / iptisam / .

ي-أبو سعيد السيرافي ذكّرنا بألوفون آخر لم يذكره سيبويه. هذا هو اللام المفخمة أو المغلظة الذي يمكن العثور عليه في اسم الله / aɬla: h / . تنطق هذه الكلمة إذا كانت مفردة أو في درج الجملة بتفخيم أو تغليظ اللام دائمًا عند العراقيين والخليجيين العرب اليوم، ولكن بالترقيق في بعض المواضع في درج الكلام في اللام [l] عند بعض العرب الذين يعيشون في شمال إفريقيا. في اللغة العربية الفصحىٰ يمكننا أن نجد كلًّا من اللام / l / والألوفون الخاص به [ɬ] في تلك الكلمة وغيرها من الكلمات.

هناك ألوفونات أخرىٰ في اللهجات العربية اليوم بالتأكيد مثل الألوفون [غ] للفونيم [ق] ونسمعه في سلطنة عمان في ولاية صور مثلًا وفي جنوب العراق وفي السودان وجيبوتي، فيقولون غراءة بمعنىٰ قراءة. والعكس أيضا موجود في جنوب العراق فينطقون الاسم غسان فيقولون قسان وهذا النطق للغين وإبدالها قافا موجود في مناطق من الجزائر أيضا. ومن الألوفونات المسموعة اليوم الألوفون [غ] للفونيم

/ر/ وهو منتشر عند أهل الموصل في الوقت الحاضر فيقولون أُغيد بمعنىٰ أريد والألوفون [ج] للفونيم /ق/ ونسمع منه اليوم جليل بكسر الجيم بمعنىٰ قليل في جنوب العراق. لكن هذه جميعها لم ترد في كتب سيبويه أو السيرافي القديمة، وربما يعني هذا أنها لم تكن معروفة في زمانهما أو لم تكن معروفة لهما. ولا ننسىٰ أن سيبويه قد ذكر أحوالًا أخرىٰ يمكن عدّها في الألوفونات، وذلك مثل إبدال الياء جيما، وقد مثّل لهذه اللهجات التي عُرِفت قبل زمنه بأمثلة من لغة العرب كقول الشاعر:

خالي عُويفٌ وأبو عَلِجّ

يريد: وأبو عليّ، ويبدو لي أنه لم يذكرها في الحروف الفروع سواء المستحسنة في قراءة القرآن والشعر أو غير المستحسنة ؛ لأن هذا الإبدال لم يكن مطردًا، أي إن هذه الأصوات لا تحل محل الفونيم مطلقًا، وإنما في مواضع بعينها ولذلك لم يعدّها في الفروع.

ولا بد من الإشارة هنا قبل الانتهاء من البحث إلىٰ أن سيبويه عندما عدّ هذه الحروف أو الأصوات الفروع فضلًا عن الأصول لم يذكر صوتين متشابهين، فرأي من قال إن الكاف التي بين الجيم والكاف هي نفسها الجيم التي كالكاف غير صحيح، وكذلك نجيب من تساءل عن عدم عدّ سيبويه الألوفونات من مثل ما يظهر في السراط والصراط؛ إذ يظهر الصوت الذي عدّه سيبويه من الأصول في استعمال فرعي أو علىٰ شكل ألوفون، ففي كلتا القضيتين أعلاه تكون الإجابة من خلال النظر في كتاب سيبويه كالآتي: لا يرىٰ هذا العالم الفذ أن الكاف التي بين الجيم والكاف هي نفسها الجيم التي كالكاف؛ لأنه إنما أراد في هذا الموضع أن يذكر أنواع الأصوات التي تُسمَع عند التحدث بالعربية، سواء الأصوات الأصلية أو الفرعية، هذا أول أهدافه قبل هدف تصنيف الحروف الىٰ فروع وأصول، وقبل تصنيف الفروع إلىٰ مستحسن وغير

مستحسن، وعلىٰ هذا لا يمكن أن يعدّ صوتين صوتًا واحدًا في ذكره لأنواع الأصوات التي يستعملها متكلمو العربية. وقد حاول كثير من الباحثين التماس عذر لسيبويه بجعل هذين الصوتين (الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف) صوتًا واحًدا، عندما جمعوا الأصوات الأصول والفروع التي حددها سيبويه بتسعة وعشرين أصلًا، وتصل عنده الىٰ اثنين وأربعين حرفًا بجمع الفروع معها، فاكتشفوا أنها بما عدّه سيبويه من الحروف يجب أن تكون ثلاثة وأربعين، وقد أخطؤوا عندما عدوا الصوتين المذكورين صوتًا واحدًا.

وبمثل هذا نجيب السائل عن عدم عدّ سيبويه الصوت الذي جعله في الأصول بين الأصوات الفروع عندما يستعمله متكلمو العربية ألوفونًا فنقول: لم يعد سيبويه الجيم من مثل (أبو علجّ) التي ظهرت ألوفونًا للياء في الحروف الفروع؛ لأنه ذكرها أولًا بين الحروف الأصول وهذا يكفي، فالهدف الأول لديه في ذكره لهذه الحروف أو الأصوات -كما أسلفنا- كان تحديد أنواع الأصوات التي ظهرت عند متكلمي العربية بكل مستوياتها علىٰ زمنه والأزمنة السابقة له، سواء في الفصحىٰ أو غيرها، ولذلك لا يكرِّر ذكر السين والصاد والجيم وأمثالها من الحروف الأصول وإن استُعمِلت فروعًا في بعض اللهجات أو المواضع التي يُضطرّ إليها المتكلم بسبب التعامل الصوتي بين الحروف والحركات، وهو ما يترك أثرًا علىٰ طريقة نطق الحرف ويغيِّره الىٰ حرف أو صوت مختلف. ومعلوم أن الأصوات الفروع التي ذكرها سيبويه ليس منها شيء من الحروف الأصول، وهي جميعها لا تُستعمَل إلا ألوفونات ولا تُستعمَل فونيمات في العربية.

خاتمة

من خلال هذه الورقة البحثية مررنا بالألوفونات العربية في زمن سيبويه وشارح كتابه أبي سعيد السيرافي، وذلك بالنظر في الذي جمعه من الأصوات الفرعية للأصوات الأصول في اللغة العربية الفصحىٰ منذ أكثر من ألف عام وحتىٰ أيامنا هذه. وعرفنا أن المقصود بهذا الجمع أن يعدد أنواع الأصوات المسموعة التي تظهر في نطق متكلمي العربية، وليس المقصود التعريف بكل ألوفونات الفونيم الواحد، أو بحسب اصطلاحه ليس المقصود التعريف بكل الأصوات الفرعية للصوت الأصل، ولذلك فسيبويه لم يعد الميم -مثلًا-صوتًا فرعيًّا للنون في مثل حالة الإقلاب. كما ربطنا في دراسة الألوفونات المستحسنة وغير المستحسنة عند سيبويه بما نسمع اليوم لملاحظة امتداد وجود الألوفون في اللهجات في الأزمنة القديمة للعربية والمعاصرة. وقد بيَّنت هذه الدراسة أن سيبويه لم يكن يتحدث عن صوت واحد عندما شرح الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف كما ظهر في دراسات حديثة وقديمة للكتاب. وصحح البحث مجموعة من الأخطاء ومنها انتقاد استعمال القدماء مصطلح حرف بدلًا من صوت، وفهم بعض الباحثين أن هدف سيبويه من ذكر الأصوات الفروع هو تخيير المتكلم بالعربية في أن ينطق ما يستطيع من حروفها باختياره. ووضح البحث سبب عدم عدّ سيبويه الصوت الذي جعله في الأصول بين الأصوات الفروع عندما يستعمله متكلمو العربية ألوفونًا. ومن الله التوفيق.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

[1] A first century BC Arabic inscription. http://www.islamicawareness.org/History/Islam/Inscriptions/faw.html

٢- **الآراء والنقول الصوتية والصرفية المنسوبة إلى الخليل في كتابي سيبويه والعين**، النباتي، هند بنت عامر ، رسالة ماجستير كلية اللغة العربية جامعة أم القرىٰ إشراف د. مي الجبوري ، مكة المكرمة ١٤٤٠ هـ.

٣- **أبحاث في أصوات العربية** ، النعيمي، حسام سعيد ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ١٩٩٨ .

٤- **أصوات العربية بين التحول والثبات**، النعيمي، حسام سعيد، سلسلة بيت الحكمة، العراق، جامعة بغداد، ط١، ٢٠١١م.

٥- **الأصوات المستحسنة عند سيبويه**، شيتاو ، عبد الناصر رمضان، المنشور في مجلة جامعة صبراتة العلمية، مجلد ٧ عدد ١٤ ديسمبر ٢٠٢٣ .

٦- **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٤٣١ هـ.

٧- **الدراسات الصوتية عند علماء العرب**، الأصيبعي، عبد الحميد هادي ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، الجماهيرية الليبية طرابلس، ١٩٨٢ .

٨- **دراسة الصوت اللغوي**، عمر، أحمد مختار، ١٩٩٧، عالم الكتب، مصر.

٩- **شرح كتاب سيبويه**. السيرافي، أبو سعيد، ٢٠٠٨، دار الكتب، بيروت.

١٠- **طبقات النحويين واللغويين**، الزبيدي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٧٣ .

١١- **الفهرست**، ابن النديم، مطبعة الاستقامة، القاهرة.

١٢- **الكتاب**، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. -المطبعة الكبرىٰ الأميرية ببولاق، مصر، ط١، ١٣١٦هـ، عن دار صادر.-دار الكتب بيروت. ١٩٩٩.

١٣-**القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث**، الجبوري، مي ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٠.

١٤- **المقتضب**، المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد ت٢٨٥هـ، تح محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٣٩٩هـ.

15-IPA
SIL. http://scripts.sil.org/encore-ipa-download
الرموز الصوتية العالمية

الهوامش

(1)*A first century BC Arabic inscription.*
http://www.islamicawareness.org/History/Islam/Inscriptions/faw.html

(٢) تنظر رسالة ماجستير بعنوان الآراء والنقول الصوتية والصرفية المنسوبة إلىٰ الخليل في كتابي سيبويه والعين.

(٣) الأصوات المستحسنة عند سيبويه ص ١٤٩.

(٤) الدراسات الصوتية عند علماء العرب ص ١٠١.

(٥) ينظر: دراسة الصوت اللغوي ص ١٧٧.

(٦) ينظر: أبحاث في أصوات العربية ص ٦٤.

(٧) الكتاب، ط بولاق ٢/ ٤٠٤.

(٨) شرح كتاب سيبويه ٥/ ٣٨٦.

(٩) نفسه ٥/ ٣٨٧.

(١٠) الكتاب، ط بولاق ٢/ ١٦٣.

(١١) البقرة: ١٢٦.

(١٢) الكتاب، ٣/ ٥٤٢.

(١٣) نفسه ٤/ ٤٣٤.

(١٤) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث ٦٥ – ٧٢.

(١٥) الكتاب ٤/ ١١٧.

(١٦) المقتضب ٣/ ٤٢.

(١٧) شرح كتاب سيبويه ٥/ ٣٨٩.

(١٨) الكتاب ٤/ ٤٧٧.

(١٩) شرح كتاب سيبويه ٥ / ٤٥١.

(٢٠) نفسه ٥/ ٣٨٩.

(٢١) أصوات العربية بين التحول والثبات ٢١.

(٢٢) الكتاب ٤/ ٣٠٥.

(٢٣) شرح كتاب سيبويه ٥/ ٣٨٩.

(٢٤) تنظر ترجمته في طبقات النحويين ١١٩، الفهرست ٦٢، تاريخ بغداد ٧/ ٣٤١.

(٢٥) الكتاب ٤/ ٤٣٣.

(٢٦) نفسه ٤/ ٤٣٢.

(٢٧) شرح كتاب سيبويه ٥/ ٣٨٩.

(٢٨) نفسه ٥/ ٣٨٩-٣٩٠.